المراكز العلمية المميزة في بغداد في العصر العباسي

م. م. باسل طه جاسم م. د. فارس محمود ذنون
معهد اعداد المعلمات - نينوى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعد هذا البحث محاولة لدراسة ومعرفة مراكز التعليم في بغداد في العصر العباسي وتسليط الضوء على مدى إسهام الدولة والأفراد من أبناء الشعب في مساعدتهم وتشجيعهم للحركة العلمية في بغداد ومدى تقديم العون والوقوف لتلك المراكز وللطلاب الدارسين فيها.

المبحث الأول
الجوامع والمساجد

يعد المسجد أول المؤسسات الإسلامية التي انطلق منها شعاع العلم. فقد كان يؤدي وظائف عديدة منذ عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم). لهذا كان له أهمية كبيرة في حياة المسلمين. وقد زخرت بغداد بالكثير من المساجد والجوامع التي كانت تؤدي أدواراً علمية مميزة على نطاق العالم الإسلامي بوصفها عاصمة الخلافة العباسية ومركزا" لإشعاع فكري وديني وثقافي وحضاري ومن أهم هذه الجوامع وأشهرها.

أولاً: جامع المنصور

شيده الخليفة أبو جعفر المنصور عند بناءه مدينة بغداد عام (١٤٥هـ – ٧٦٢م) ثم عرف بالصحن العتيق فيما بعد (١).ويقع في الجانب الغربي من بغداد أو بجوار قصره المعروف بقصر باب الذهب(٢). ومنذ ذلك الحين تلقى الطلبة علومهم به كقراءة القران

الكريم وسماع الحديث النبوي الشريف ودراسة الفقه وحتى قراءة الشعر، ولأهميته واتساعه عقدت فيه حوالي خمسين حلقة عندما زاره الإمام محمد بن إدريس الشافعي* في أواخر القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد(٣).وسمع فيه العديد من طلبة الحديث النبوي الشريف من شيوخهم ومن هؤلاء الشيوخ محمد بن صالح السقطي(٤). واحمد بن الهيثم الدنيوري واحمد بن حجر بن حسن الاخباري(٥). والحسن بن السري بن سهل العطار(٦). ومحمد بن عبد الله بن عبيد الزعفراني الفقيه(٧)، والحسن بن احمد الهلماني(٨). واحمد بن عبيد الله بن الحذاء وغيرهم الكثيرون وكان لبعض القصاص دور في رواية القصص في هذا الجامع منهم محمد بن العباس بن الحسين(ت:٤٣٠هـ /١٠٣٨م)(٩)، فضلا عن ذلك كان الشعراء يجتمعون فيه ويتناشدون أشعارهم منهم مهيار بن مرزوية الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور (ت: ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م) الذي كان يحضر في جامع المنصور أيام الجمع(١٠). كما كان هذا الجامع قبلة لاستقبال الشيوخ والحجاج المارين ببغداد بطريق الحج ليحدثوا به طلاب العلم ومنهم أسد بن رستم الذي حدث طلاب العلم والحديث بجامع المنصور عند مروره ببغداد ذاهبا للحج في سنة (٣٢١هـ / ٩٣٣ م) (١١)، ومحمد بن جعفر المقري الصابوني.الذي حدث به أيضا عند مروره ببغداد ذاهبا للحج(١٢).

ثانياً: جامع الرصافة الكبير

وهو أول بناء شيده المهدي سنة (١٤٣ هـ / ٧٦٠م) في الجانب الشرقي من بغداد قبل توليه الخلافة (١٥٨ – ١٦٩ هـ / ٧٧٥– ٧٨٥ م) وهو أوسع من جامع المنصور وأجمل منه(١٣). وكان لهذا الجامع دورا مهما في عقد مجالس الحديث فيه، فقد سمع العديد من طلبة الحديث النبوي الشريف من شيوخهم ومنهم خلف بن علي القطيعي الذي حدث طلاب الحديث به (٢٩٩ هـ ٩١١ م)(١٤)، وسمع طلبة آخرون من الشيخ العباسي بن محمد البلخي في سنة(٣٢١هـ/ ٩٣٣م)(١٥)، وحدث به عثمان بن احمد بن الخطيب بن البراز (ت ٣٢٣ هـ /٩٣٤ م)(١٦)،ويوسف بن محمد بن علي المؤدب (١٧)، واحمد بن محمد الكوفي المعروف بابن عقدة الذي حدث طلابه سنة(٣٣٠هـ / ٩٤١م)(١٨)، واحمد

بن عبيد الله الدباس الذي سمع منه الطلاب سنة(٣٣١ هـ / ٩٤٢ م)(١٩)، وحمزة بن القاسم بن عبد العزيز الإمام (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) الذي حدث به الطلاب سنة (٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م)(٢٠)، ويوسف بن محمد بن هارون الأنصاري (ت٣٤٣هـ / ٩٥٤م) الذي حدث فيه أيضا في سنة(٣٣٣هـ/ ٩٤٤ م)(٢١) وغيرهم الكثير من رواة الحديث.

ولأهمية هذا الجامع وسعته استعان الخليفة المتوكل بالعلماء المشهورين ومنهم اسحق بن إسرائيل لمحاربة الفرق المخالفة للدين والإسلام وألسنه النبوية الشريفة في سنة (٢٣٤ هـ/ ٨٤٨ م) وذلك عن طريق إرشاد الناس بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة* والجهمية** في كل من جامع المنصور وجامع الرصافة (٢٢).

ثالثاً: جامع ابن المطلب

أسسه أبو المظفر الحسن بن هبة الله بن المطلب (ت٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) ويقع في الجانب الغربي من بغداد وعند قصر عيسى*** وقد عرف هذا الجامع بحلقاته العلمية وخزائنه الكبيرة العامرة بأنواع الكتب العلمية(٢٣)، وقد تحدث به الكثير من علماء الحديث ومنهم أبو الرضا ابن المكشوط (ت٥٩٧هـ / ١٢٠٠ م)(٢٤)، وكذلك أبو الحسن الفارقي (ت٦٠٢هـ /١٢٠٥ م) (٢٥)،كماحدث فيه الأوحد الكرماني الصوفي منذ قدم بغداد في سنة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م)(٢٦)، وبوجوده فيه زاد إقبال الطلاب والصوفية على الجامع تبركا بزهده وتصوفه وعلمه.

رابعاً: مسجد قمرية

يقع هذا المسجد في الجانب الغربي من بغداد قرب قصر عيسى(٢٧)، وهو من المساجد المهمة التي تميزت بدورها الثقافي البارز ويبدو ان الخليفة المستنصر (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) أراد ببنائه أن يكون داراً للعلم والحديث فضلا عن دوره في العبادة قبل أن تتم عمارة ألمدرسه المستنصرية(٢٨)،وقد أشار ابن الكازروني إلى ذلك فقال:

(أمر بناء مسجد في الجانب الغربي من نهر عيسى بن علي الهاشمي في موضع يعرف بقمرية، فتحت عمارته في سنة ستة وعشرين وستمائة وشرط أن يكون فيه من المتلقين ثلاثين نفسا وشيخ وصل به ومعيد)(٢٩)،ولم يقتصر هذا المسجد على إلقاء دروس الحديث، بل كان دوره الثقافي والعلمي اكبر من ذلك وأوسع من حيث الدقة في تعلم الحديث ومراحل هذا التعليم ووسائله ودرجات طلب الحديث وكتابته وشموله على خزانة كتب غزيرة المحتوى وكثيرة التصانيف (٣٠). وقد وصف لنا ابن الفوطي هذا المسجد في حوادث سنة ٦٢٦ هـ فقال: (في شعبان تكامل بناء المسجد بقمرية بالجانب الغربي على شاطيء دجلة المقابل للرباط البسطامي ونقل إليه الفرش والآلات وقناديل الذهب والفضة والشموع وغير ذلك وفتح في شهر رمضان ورتب فيه مصليا الشيخ عبد الصمد بن احمد بن أبي الجيش واثبت فيه ثلاثين صبيا يقرأون القراءات عليه ورتب فيه معيدا يحفظهم التلاقين ورتب أيضا فيه الشيخ حسن بن الزبيدي محدثا يقراء عليهم الحديث النبوي في كل يوم اثنين وخميس ورتب أيضا قاريء للحديث وجعل في المسجد خزانة للكتب وحمل إليها كتبا كثيرة)(٣١).

المبحث الثاني
الربط والزوايا

أولاً: الربط:

الأصل في الرباط الاقامه على جهاد الأعداء وملازمة الثغور لحماية حدود البلاد الإسلامية(٣٢). إلا أن المدلول الحربي للرباط قد تغير إلى معنى جديد تغلب عليه صفة الزهد والتصوف منذ أواسط القرن الرابع الهجري(٣٣)، بسبب تطور التصوف وتشعبه إلى طرائق وفرق مختلفة فضلا عن طبيعة التطور الاجتماعي الذي أفرزته حالة الأمن والاستقرار وانقطاع الغزو وقد عرف المقريزي الرباط بقوله (هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم)(٣٤)، ومنهم من يسميه (الخانقاة)(٣٥).وكان لهذه الربط دورفي الحياة الثقافية حيث توفرت فيها خزانات من الكتب الموجودة لخدمة العلم وأهله.

(١) رباط شيخ الشيوخ *

أشتمل هذا الرباط على خزانة من الكتب النادرة ضمت أمهات المصنفات والأسفار اشتهر منها كتاب (ذيل تاريخ بغداد) للسمعاني (٣٦)،قال ابن الدبيثي في ترجمته: (كتب عن عامة شيوخ بغداد في وقته وبحث عن أحوالهم وذاكر حفاظها وجمع لها تاريخا جعله مذيلا على تاريخ أبي بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب لها في عشر مجلدات بيضها في بلده بعد عودته إليه ووقفه ونفذ به إلى بغداد وجعله في رباط شيخ الشيوخ وكتابنا هذا مذيل عليه) (٣٧).ويبدو أن خزانة تضم هذا السفر النادر والواسع والمنسوب إلى محدث ومؤرخ كبير ومشهور لابد أن تكون قد اكتسبت شهرة علميه كبيرة حتى استهوت شخصا كالسمعاني ليوقف مؤلفا من ابرز مؤلفاته.

(٢) رباط الشوينزية**

كان هذا الرباط يتمتع بخزانة من الكتب الموقوفة وأنها كانت في خدمة الوافدين إليها والساكنين بها من طلاب العلم ولعل هذا السبب هو الذي دفع أبا حامد البلخي*** ليوثق كتبه فيه،قال ابن الدبيثي: (ووقف كتبه في رباط الشوينزي)(٣٨).

(٣) رباط سلجوقي خاتون

تميز هذا الرباط بخزانة للكتب احتوت المصنفات والأسفارالبارزة مثل (كتاب الدول في التاريخ) لأبي الحسن المجامقي (ت ٤٧٩ هـ / ١١٨٦ م)(٣٩). قال ياقوت الحموي عن هذا الكتاب (رأيت في الوقف السلجوقي ببغداد منه ثلاثين مجلدا ويعوزه شيئا أخر)(٤٠)، ومن محتوياته أيضا كتاب حكاية عشق الأعسر بن مهارش ألكلابي لصيقل بنت طراد بن حشرم الاسدي(٤١)، ويبدو أن خزانة الكتب المتوفرة في هذا الرباط كانت قيمة ومهمة، كأهمية خزانة المدرسة النظامية أو غيرها من الخزائن المهمة الأخرى فقد اشرف أبو الرشيد الحاسب الملقب بالبرهان(٤٢)، (ت٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) في اختيار الكتب لها جميعا، قال القفطي في ترجمته: (وتميز في أيام الناصر لدين الله أبي العباس احمد وقرب منه

واعتمد في اختيار الكتب التي وقفها في الرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبداره المسناة)(٤٣)، ويبدو أن الإشارة إلى بعض محتويات خزانة هذا الرباط من الكتب والاهتمام في انتقائها يشكل دلالة واضحة على أهمية هذه الكتب العلمية والعناية الموجهة من جانب الخليفة الناصر لهذه الخزانة.

(٤) رباط الخاتونية:

وهو رباط السيدة زمرد خاتون (ت٥٩٩ هـ /١٢٠٣ م)(٤٤) ويبدو أن لهذا الرباط دار كتب نفيسة يقصدها أهل العلم للمناظرة والبحث، قال ياقوت الحموي في بيان ذلك (حدثني محب الدين محمد بن النجار قال: حضر الوجيه النحوي(٤٥)، بدار الكتب برباط المأمونية وخازنها يوم ذاك أبو المعالي احمد بن هبة الله فجرى حديث المعري، فذمه الخازن وقال كان عندي في الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته فقال له الوجيه: وآي شي كان هذا الكتاب ؟ قال: كان الكتاب (نقض القرآن) فقال له: أخطأت في غسله فعجب ألجماعه منه وتغامزوا عليه واستشاط ابن هبة الله وقال له: مثلك ينهي عن مثل هذا، قال: نعم لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القران آو خيرا منه، وحاشى الله أن يكون ذلك ولاشك انه لا يجب أن يفرط في مثله، وان كان دونه وفي ما لاشك فيه فتركه معجزة للقرآن، فلا يجب التفريط فيه، فأ ستحسن ألجماعه قوله ووافقه ابن هبة على الحق وسكت)(٤٦).

مما احتوته خزانة هذا الرباط من المصنفات أيضا، كتاب الفنون لابن عقيل البغدادي (ت٥١٣هـ /١١١٩م)(٤٧) الذي طالع منه سبط ابن الجوزي في هذا الرباط (نحو من سبعين مجلدا)(٤٨).

(٥) رباط الحريم ألطاهري

وهو من الربط التي أنشاها الخليفة الناصر(٥٧٥ – ٦٢٢ هـ /١١٨٠–١٢٢٥م)بمحلة الحريم ألطاهري بالجانب الغربي من بغداد(٤٩)، قال عنه ابن الأثير:(وهو من أحسن الربط ونقل إليه كتبا كثيرة من أحسن الكتب)(٥٠) ويبدو أن الكتب التي نقلت لهذا الرباط مهمة جداً، لما قيل من تعلق الخليفة الناصر به سواء كان في أسباب نشأته أو في زياراته

له أو في إسناد مشيخته للشيخ عبد العزيز بن دلف الخازن الناسخ (ت ٦٣٦ هـ / ١٢٤٠ م) المشهور بفهرسة الكتب وتنظيمها(٥١).

(٦) رباط ابن النبار

ينسب هذا الرباط للشيخ عز الدين ابن النبار (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)(٥٢) ويقع في الجانب الشرقي من بغداد، وقد توفرت فيه خزانة للكتب، قال عنها ابن ألفوطي: (أنشأ به خزانة للكتب النفيسة والخطوط المنسوبة)(٥٣)وكانت كتب هذه ألخزانه التي أنشاها ابن النبار في رباطه في متناول طلاب العلم والصوفية ومن كان يقصد هذا الرباط من نظرائهم(٥٤).

ثانيا: الزوايا

هي المكان الذي يجتمع فيه الزهاد حول شيخ من الشيوخ أو حول ضريح لهم، والراجح أن مواطن اعتكاف الصوفية في الزوايا قد عرفت في العالم الإسلامي في حدود القرن الرابع الهجري بوصفها بيوتا لهم يقيمون بها كذلك فيها عبادتهم وأذكارهم وحلقات دروسهم(٥٥).

(١) زاوية الشيخ أبي علي القادسي

تنسب للشيخ الحسن بن مسلم بن أبي الحسن الحنبلي (ت ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧ م)(٥٦) المنسوب إلى قرية القادسية بنهر عيسى(٥٧) ولعل زاويته كانت في تلك الجهات بسبب أن وفاته كانت بنفس القرية المذكورة.عرف أبو علي القادسي بزهده وورعه وكراماته وعلمه، مما جعل زاويته مقصدا للخليفة الناصر(٥٧٥-٦٢٢ هـ / ١١٨٠- ١٢٢٥ م) وأرباب دولته الآخرين، كذلك تميزت زاويته بحلقاتها العلمية المختصة بعلوم القران الكريم والسنة النبوية الشريفة(٥٨).

(٢) زاوية أبي بكر الطرثيثي

أسس هذه الزاوية احمد بن علي بن الحسين بن زكريا الطرثيثي(٥٩) المعروف بابن زهراء المقريء الصوفي (ت ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م)(٦٠) ولم يتبين لنا موقعها في بغداد لكن

ابن الجوزي يصفها بالصغر فيقول (كانت له زاوية صغيرة يجتمع فيها العلماء)(٦١) وكانت هذه الزاوية تستضيف العلماء وطلاب العلم من الصوفية بالرغم من صغرها(٦٢) وقد درس فيها أبو سعد الصوفي وعدد من أصحابه(٦٣) وكانت صغيرة لاتسع المقيمين فيها من طلاب العلم فنصحه بتوسيعها وتنظيمها.

(٣) زاوية المطرز

كانت هذه الزاوية بالحريم ألطاهري، صاحبها هو عثمان بن سليمان بن احمد المطرز (ت٦٣٦ هـ / ١٢٣٩ م)(٦٤) الموصوف بالزهد والورع والعلم. وقال عنه ابن ألفوطي(سكن بالحريم ألطاهري في زاوية اتخذها لنفسه وانضاف إليه جماعه من العلماء وقصده أبناء الدنيا)(٦٥)، تميزت هذه الزاوية بدراسة تفاسير القران الكريم كذلك دراسة ألسنه النبوية الشريفة على يد شيخها عثمان المطرز،حيث قصدها طلاب العلم من نواحي بغداد للدراسة والتعلم(٦٦).

المبحث الثالث

دور العلم

هي المكتبات العامة أنشأت خارج المدارس لإغراض المطالعة والاستنساخ وتيسيرها للراغبين في العلم وخاصة لغير القادرين منهم على اقتناء الكتب بسبب غلائها وندرة نسخها في تلك العصور لذلك سارع الأغنياء والعلماء والأمراء والوزراء إلى تأسيس دور عامه للكتب أطلق عليها (دور العلم) فكانت معاهد عامه للدراسة والاستنساخ والترجمة والتأليف(٦٧) ويمكن اعتبار دور العلم هي الخطوة التالية لخزائن الكتب(٦٨).ولعلها أكثر شعبية من حيث توفر المستلزمات العلمية وكثرة الأوقاف وأسباب المعيشة وقد عرفت دور العلم في مدن العراق ومنها بغداد(٦٩) وهي: –

أولاً: دار علم سابور

أسسها سنة(٣٨٣ هـ /٩٩٣ م) الوزير سابور بن اردشير(ت٤١٦ هـ /١٠٢٥ م)(٧٠) في محلة بين السورين بالكرخ من بغداد الغربية (٧١) قال ابن الأثير (وقف فيها كتب كثيرةعلى المسلمين المنتفعين بها)(٧٢) وقد فصل ابن الأثير في مكان اخر محتويات دار علم سابور من الكتب بقوله (كان بها عشرة ألاف مجلد وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم)(٧٣) وقد وصف ياقوت الحموي كتبها فقال : (لم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط ألائمة المعتبرة وأصولهم المحررة)(٧٤) ويبدو أن دار علم بهذه الحالة تمتعت بالأوقاف التي منحتها صفة البقاء والاستمرار لفترة قاربت سبعين عاما، هذا ما أكد عليه ابن الجوزي بقوله (وقف عليها الوقوف وبقيت سبعين سنة وأحرقت عند مجيء طغرل بك في سنة خمسين وأربعمائة)(٧٥) ويمكن الاستدلال على الأهمية العلمية لدار علم سابور من ثلاثة عوامل، الأول أنها كانت تستقبل أوقافا من مؤلفات العلماء البارزين مثل جبرائيل بن عبيد الله بن يخشوع (ت٣٩٦ هـ /١٠٠٥ م) أوقف كتابه في الطب الموسوم (الكتاش الكبير) أو (الكاني)(٧٦) أما العامل الثاني فهو أن هناك من أهل العلم من يرسل مؤلفاته لدار العلم هذه لتقييمه علميا حيث أن قبوله فيها يعتبر اعترافا بقيمته العلمية والمثال على ذلك إرسال ابن خيران الكاتب المصري (ت٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م) لديوانه ورسائله تحقيقا لهذا الغرض(٧٧) والعامل الثالث أن قيمتها العلمية والثقافية استهوت كبار رجال العلم والأدب فاقبلوا عليها للدرس والبحث والمناظرة والإقامة منهم الشاعر والفيلسوف أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧ م)(٧٨) الذي زار العراق مرتين(٧٩) وفيما قال فان دار العلم كانت السبب في ذلك (والذي أقدمني تلك البلاد مكان دار العلم بها وأثرت الإقامة بدار العلم فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه)(٨٠) وممن قصد دار العلم سابور في بغداد أبو الحسن المجاشعي القيرواني (ت ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م) لتدريس علم النحو فيها لما عرف من شهرته في علوم اللغة بصورة عامة (٨١) ويبدو مما تقدم من النصوص أن دار علم سابور كانت غنية بمحتوياتها من الكتب العلمية والثقافية ومكانا لإقامة الواردين إليها فضلا عن نشاطها التعليمي، وقد قال عنها ابن كثير (وأظن هذه أول مدرسة وقفت الفقهاء، وكانت قبل النظامية

بمدة طويلة)(٨٢) وهذا يعني أن هذه الدار كانت تقدم من الخدمات مايشابه ما قدمته المدرسة النظامية والمستنصرية بعدئذ من الدروس والإقامة بها.

ثانياً: دار علم الشريف الرضي

اشتهر الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) إلى جانب شهرته في الشعر بإنشاء مؤسسة ثقافية في بغداد اسماها (دار العلم) وكان ينفق على تلامذته من ماله الخاص ويلقي فيها محاضراته العلمية(٨٣).قال ابن عنبة:(كان طلبة العلم الملازمون للشريف الرضي في دار قد اتخذها لهم سماها دار العلم، وعين لهم جميع ما يحتاجون إليه)(٨٤)

ويبدو أنه كان يتبع دار علم الشريف الرضي مخزنان احدهما يشتمل على معظم حاجات الطلاب الدراسية والمعاشية قد تزود كل طالب منهم بمفتاح يؤمن له تناول ما يحتاج إليه من اللوازم دون استشارة الخازن (٨٥).أما المخزن الثاني التابع لدار العلم فهو خزانة الكتب التي اشتملت على الكثير من المؤلفات ونظمت تنظيما" حسنا"، مما جعلها تقف في مصاف الخزائن الكبرى ببغداد(٨٦). وقد كان الشريف الرضي حريصا" كل الحرص على تحمل نفقات كافة الطلاب الذين يقيمون في دار العلم مستقلا" ولم يسمح بقبول الاعانة من جهة أخرى مهما بلغت في المنزلة(٨٧).

ثالثاً: دار غرس النعمة الصابي

تأسست هذه الدار في سنة (٤٥٢هـ/١١٦٠م) وقد انشاها أبو الحسن الصابي المعروف بغرس النعمة (ت٤٨٠هـ/ ١١٨٧ م) وتقع في شارع ابن أبي عوف من بغداد الغربية (٨٨). قال ابن الجوزي: (في رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال الصابي دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام، ونقل إليها نحو ألف كتاب، وكان السبب أن الدار التي وقفها سابور الوزير بين السورين احترقت ونهب أكثر مافيها منبعثة الخوف على ذهاب العلم أن وقف هذه الكتب)(٨٩) وقد احتلت هذه الدار مكانا" مهما" لدى العلماء وأهل المعرفة حيث كان يلتقي فيها المتناظرون في الشؤون العلمية والثقافية(٩٠). وثمة امران تميزت بهما دار

كتب غرس النعمة الصابي، الأول أن الروايات اختلفت في عدد محتوياتها من الكتب، فمن المؤرخين من يجعلها أربعمائة مجلد في فنون العلوم(٩١). ومنهم من يرفعها إلى ألف كتاب (٩٢) بينما هي لدى ابن كثير في رواية أخرى أربعة ألاف مجلد(٩٣).والأمر الثاني الذي تميزت به هذه الدار هو أن صاحبها ألغى الوقوف وباع كتبها، قال ألصفدي: (صرف الخازن وحل ذكر الوقوف من الكتب وباعها فانكرت ذلك عليه فقال: قد استغني عنها بدار الكتب النظامية.قال المصنف: فقلت بيع الكتب بعد وقفها محضور، قال: لقد صرفت ثمنها في الصدقات)(٩٤) ويبدو أن دار الكتب لغرس النعمة الصابي لم تدم طويلا" فقد أشار النص السابق إلى بطلانها من قبله وإنفاقه لمالها على الصدقات.

رابعاً: دار علم ابن المارستانية

تنسب هذه الدار إلى ابي بكر عبيد الله بن علي المعروف بأبن المارستانية وتقع في الجانب الشرقي من بغداد(٩٥).وقد اشار ابن الجوزي بمكان هذه الدار حيث قال (بنى دارا بدرب الشاكرية وسماها دار العلم وجعل فيها خزانة كتب واوقفها على طلاب العلم)(٩٦) وبالرغم مما اغفلته المصادر من تعيين تاريخ المعلومات لانشاء هذه الدار إلى انه من الممكن تقدير ذلك بعد سنة (٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م) اذ انشاها صاحبها بعد ان استوزر عبيد الله للخليفة الناصر في السنة المذكورة (٩٧).ولكن في ما يبدو ان دار علم ابن المارستانية لم تستمر طويلا فقد انتهى بصاحبها الى السجن وبيعت كتبه التي اوقفها في دار العلم من قبل السلطة انذاك مع سائر امواله (٩٨).

خامساً: دار العلم في دار المسناة

اختلف المعنيون بخطط بغداد بأصل القصر العباسي والذي تقوم بقاياه اليوم في قلعة ببغداد في الجانب الشرقي من المدينة، فالبعض يعتقد أن هذا القصر الذي بالقلعة هو دار المسناة(٩٩). ومنهم من يرى أن القصر العباسي يحتوي على مدرسة عباسية (١٠٠).أما

مؤسس دار المسناة فهو الخليفة الناصر (٥٧٥-٦٢٢ هـ/١١٨٠-١٢٢٥ م) ويرجع تاريخ إنشائها يعود إلى سنة (٥٧٦ هـ ١١٨٠م)(١٠١)

وفي دار المسناة يوجد فيها دارا للعلم بلغت من القيمة بحيث أن من اعتمد في اختيار كتبها كان هو المعتمد في اختيار كتب المدرسة النظامية والرباط السلجوقي(١٠٢).قال القفطي:(تميز في ايام الناصر لدين الله أبي العباس احمد وقرب منه واعتمد في اختيار الكتب التي وقفها في الرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبدار المسناة فانه أدخله إلى خزائن الكتب بالدار الخلفية وافرده لاختيارها)(١٠٣)، ويبدو أن الخليفة الناصر ساوى بين هذه المراكز الثقافية من حيث اختيار محتواها من الكتب وجعلها جميعا وقفا على المسلمين ووقف عليها من الاوقاف ما يكفل بقائها ونموها.قال الأربلي: (ووقف على هذه الأماكن وقوفا متوفرة الحاصل)(١٠٤).

كما انتشرت العديد من دور وخزائن للكتب كانت مرتبطة بالمدارس المنتشرة في بغداد وكانت تضم الكثير من الكتب القيمة في مختلف العلوم والمعارف وكانت محط العلماء والدارسين مثل:خزائن الكتب في مدرسة الامام ابي حنيفة(١٠٥) وخزائن الكتب في المدرسة النظامية (١٠٦)،وخزائن الكتب في المدرسة الكمالية (١٠٧)،وخزائن الكتب في مدرسة ابن الشمحل (١٠٨)،ومكتبة مدرسة ابن هبيرة (١٠٩)،وخزائن الكتب في المدرسة الشرابية (١١٠)،وخزانة الكتب في المدرسة المستنصرية (١١١)،ودار الكتب الكبيرة والنفيسة في المدرسة البشيرية (١١٢)

الخاتمة

من خلال ماتقدم نستنتج مايلي:

(١) الرعاية والاهتمام الكبيرين التي وجهها الخلفاء العباسيين الى العلم والعلماء من خلال تقربهم الى مجالسهم وبذل العطايا لهم

(٢) لقد كان العصر العباسي الاخير من انشط العصور في الدولة العباسية اذ اسهمت الدولة في تقديم المساعدة للعلم والعلماء يعود الى تخلص الدولة من مظاهر التحكم والتسلط الاجنبي الذي مثله البويهين والسلاجقة

(٣) مثل انشاء المكتبات العامة المستقلة او الملحقة بالمؤسسات الخيرية كالمساجد والربط والمدارس، وجها من وجوه عمل البر لان عمل البر تحول من مفاهيم محدودة الى النطاق الثقافي

ولعل توفر خدمات السكن في المراكز العلمية كالمساجد والزوايا والربط والمدارس في بغداد ساعد على توطيد اواصر العلاقات الاسلامية والتفاعل الفكري والحضاري بين مراكز الخلافة العباسية واطراف الولايات الاسلامية.

ان بغداد تعد من المراكز العلمية الرئيسية المهمة في العالم الاسلامي كونها عاصمة الخلافة وبالتالي كانت مركز استقطاب للعلماء وطلاب العلم وبذلك اصبحت بغداد مركز اشعاع حضاري وفكري عم تاثيره على العالم الاسلامي.

هوامش البحث:

(١) الخطيب البغدادي،احمد بن علي: تاريخ بغداد او مدينة السلام،دار الكتاب العربي، (بيروت، د. ت) ٩٨/٢

(٢) جواد، مصطفى وسوسة،احمد: دليل خارطة بغداد قديما وحديثا (بيروت،١٩٥٨)ص٥٦

* الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القريشي سكن مصر مات سنة ٢٠٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (٩٨/٢)

(٣) المرجع نفسه: دليل خارطة بغداد ص ٥٦

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٥ /٣٦٥

(٥) المصدر نفسه: ٤ / ١٢٦

(٦) المصدر نفسه: ٧ / ٣٢٧.

(٧) المصدر نفسه: ٥ / ٤٥٤.

(٨) المصدر نفسه: ٧ / ٢٧٨

(٩) المصدر نفسه: ٣ / ١٢٣.

(١٠) ابن خلكان،أبو العباس احمد بن محمد بن إبراهيم: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس،مطبعة الغريب –دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٨) ٥ / ٣٥٩

(١١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٨ / ٢٤٩.

(١٢) المصدر نفسه: ٢ / ١٥٦ – ١٥٧.

(١٣) مصطفى جواد واحمد سوسة. دليل خارطة بغداد قديما وحديثا ص ١٠٧

(١٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٣٣٢/٨

(١٥) المصدر نفسه: ١٢ /١٥٥

(١٦) المصدر نفسه:١٤ /٢٩٥

(١٧) المصدر نفسه: ١٤ /٣٢٠

(١٨) المصدر نفسه: ٥ /١٥

(١٩) المصدر نفسه: ٤ /٢٥٣

(٢٠) المصدر نفسه: ٨ /١٨٢

(٢١) المصدر نفسه: ١٣/ ٦١ – ٦٢

** المعتزلة: فرقة اسلامية نشات في أواخر العصر الاموي وازدهرت فب العصر العباسي واعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الاسلامية قاطلق عليها اسماء مختلفة منها المعتزلة والقدرية والعدلية واهل العدل والمقصد والتوحيد والوعيديه، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٦٧/١٠

*** الجهمية:وهم فرق من المرجئة التي برزت في نهاية العهد الاموي ب (ترمذ) احدى نواحي خراسان،وغلب عليها هذا الاسم نسبة الى مؤسسها جهم بن صفوان.انظر:الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد، ٦٧/١٠.

(٢٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٠ / ٦٧.

(*) قصر عيسى: محلة كبيرة ذات سوق وكان فيها قصر منسوب إلى عيسى ابن على ابن عبد الله بن العباس وهو أول قصر بناه الهاشميون في بغدا د٠٠انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان،دار صادر، (بيروت،١٩٧٩)٤/ ٣٧١.

(٢٣) جواد: دليل خارطة ص(٧٣)

(٢٤) المرجع نفسه.ص(١٠٧)

(٢٥) ابن الاثير،عز الدين علي بن محمد الشيباني: الكامل في التاريخ،دار صادر (بيروت، ١٩٦٥)١٢ /٢٤٣.

(٢٦) ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الشيباني : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد،مطبعة الفرات(بغداد، ١٩٣٢)ص ٧٣

(٢٧) جواد: دليل خارطة بغداد قديما وحديثا، ص ١١.

(٢٨) متز، ادم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي،ط٤،دار صادر (بيروت،١٩٦٧) ٣٢٢/١

(٢٩) ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد بن محمود: مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد وسالم الالوسي (بغداد، ١٩٧٠) ص ٢٦٠ /٢٩١.

(٣٠) عواد، كور كيس: خزائن الكتب القديمة في العراق، (بغداد، ١٩٤٨) ص١٣٠.

(٣١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة،ص٤.

(٣٢) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد: لسان العرب،دار صادر(بيروت،١٩٥٥) ٧ / ٣٠٢.

(٣٣) جواد، مصطفى: الربط البغدادية، (بغداد، ١٩٧٥) ص٢٢.

(٣٤) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر : الخطط المقريزية،مكتبة الثقافة الدينية (مصر، ١٣٢٦ هـ) ٤ / ٢٩٢

(٣٥) المصدر نفسه: ٤ / ٢٩٤.

(*) هو شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن شيخ الشيوخ أبي البركان إسماعيل بن شيخ الشيوخ أبي سعد الصوفي، ابن الأثير: الكامل: ١١ / ٥٠٩

(٣٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ١١ / ٣٣٣.

(٣٧) ابن الدبيثي، أبو عبد الله محمد بن سعيد: ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد محمود،مطبعة دار السلام (بغداد، ١٩٧٤) .١٦٤/١.

(**) الشوينزية: مقبرة ببغداد في الجانب الغربي دفن فيها السري السقطي والجنيد وغيرها من الزهاد، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ٣، ٣٧٤.

(****) هو احمد بن محمد بن احمد بن إسحاق الاصبهاني، قدم بغداد وسكن رباط الشوينزي، كان حيا حتى سنة (٥٧٠ هـ) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣٧٤/٣

(٣٨) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ بغداد ،١/ ١٠٤.

(٣٩) هو علي بن فضال بن علي بن غالب بن عبد الرحمن المعروف بالفرزدقي القيرواني، ياقوت الحموي،: معجم الأدباء (بيروت، ١٩٣٨)، ١٤ / ٩٢ .

(٤٠) المصدر نفسه: ١٤ / ٩٢ .

(٤١) جواد: الربط البغدادية، ص ٢٢٦ .

(٤٢) هو مبشر بن احمد بن علي بن احمد بن محمد الرازي الأصل بغدادي المولد والدار، انظر: جواد: الربط البغدادية ص ٢٦٩

(٤٣) جواد الربط البغدادية: ص ٢٦٩ .

(٤٤) وهي والدة الخليفة الناصر توفيت سنه ٥٩٩ هـ واشتهرت بالبر والإحسان،ابن الأثير: الكامل ، ١٣ /١٨٤.

(٤٥) هو أبو بكر المبارك بن سعيد بن البرهان الضرير النحوي (ت٦١٢ هـ).انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٧/ ٦٥

(٤٦) المصدر نفسه: ١٧ /٦٥

(٤٧) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقبل الفقيه فريد دهره وأمام عصره..انظر:ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (الهند، ١٣٥٩ هـ)، ٩ /٢١٢ (٤٨) أبو المظفر يوسف بن قراوغلي بن عبد الله سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (حيدر آياد، ١٩٥١ م) ٨ / ٨٤.

(٤٩) الحريم ألطاهري: وتقع بأعلى بغداد مدينة السلام في الجانب الغربي منسوبة إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق، الحموي: معجم البلدان ٢ / ٢٥١.

(٥٠) ابن الأثير: الكامل، ١٢ / ١٠٤

(٥١) جواد: ص٤٨– ٤٩.

(٥٢) ابن ألفوطي: الحوادث ألجامعه، ص٥٤

(٥٣) ابن ألفوطي: تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب تحقيق محمد عبد القدو من ألقاسمي، (دمشق ١٩٦٢) ٤ / ١٣٣ .

(٥٤) جواد: الربط البغدادية، ص ٥٠.

(٥٥) المقريزي: الخطط المقريزية، ٤ / ٢٧١ .

(٥٦) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ٢ / ٤٥٦ – ٤٥٧

(٥٧) القادسية: قرية بنهر عيسى من أعمال بغداد ابن الأثير : الكامل، ١٢ / ١٣٩

(٥٨) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ٢ / ٤٥٧ .

(٥٩) ابن الجوزي: المنتظم: ٩ / ١٣٨.

(٦٠) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٤ / ٢٩.

(٦١) ابن الجوزي:المنتظم، ١١/٩.

(٦٢) نفسه.

(٦٣) هو احمد بن محمد بن روست النيسابوري الصوفي، ابن الاثير: الكامل،١٥٩/١٠.

(٦٤) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ١١٦/١.

(٦٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص١٣٤.

(٦٦) جواد: دليل خارطة بغداد، ص٨٧.

(٦٧) ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٥ م)، ص٤٥٦

(٦٨) محمد عبد الرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، (المغرب –١٩٥٣ م) ص٥٥

(٦٩) المرجع نفسه: ص٥٥.

(٧٠) ابن الجوزي: المنتظم، ٨ /٣٦٢ .

(٧١) بين السورين: اسم محلة كبيرة كانت بكرخ بغداد وبها كانت خزانة الكتب التي رفعها الوزير أبو نصر سابور بن اردشير، الحموي: معجم البلدان ٥٣/١

(٧٢) ابن الأثير : الكامل ، ٩ / ١٠١ .

(٧٣) المصدر نفسه : ٩ / ١٠٢ .

(٧٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان :١ / ٥٣٤

(٧٥) ابن الجوزي: المنتظم : ٨ / ٢٢

(٧٦) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ٤ / ٩٨ .

(٧٧) نفسه.

(٧٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان ، (١) / ١١١ .

(٧٩) المصدر نفسه ١ / ١١٢.

(٨٠) أبو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان المعري: الرسائل،(أكسفورد،١٨٩٨ م) ص ٣٢

(٨١) ياقوت الحموي: معجم الادباء ٤ / ٩٨.

(٨٢) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القريشي:البداية والنهاية، (بيروت، ١٩٦٦ م) ١١/ ٣١٢.

(٨٣) جواد: خزائن الكتب، ص ٢٣١

(٨٤) احمد بن علي الداوودي ابن عنبه أعمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، تحقيق نزار رضا، ١٣٩٠هـ)، ص ١٧٢

(٨٥) جواد: خزائن الكتب، ص ٢٣٢

(٨٦) ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، ص ٤٥٨.

(٨٧) ابن عنبه: عمدة الطالب، ص ١٧١ - .

(٨٨) ابن الفوطي: تلخيص مجمع، ٤ /٢٦٤.

(٨٩) ابن الجوزي: المنتظم، ٢١٦/٨

(٩٠) جواد: خزائن الكتب، ص ٢٣٩ -

(٩١) ابن الفوطي: تلخيص مجمع، ٤ / ٢٦٦.

(٩٢) جواد: خزائن الكتب، ص ٢٣٨ .

(٩٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢/ ١٣٤.

(٩٤) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك. الوافي بالوفيات، اعتناء احسان عباس، دار صادر (بيروت،١٩٦٩)، ٥ /١٦٩

(٩٥) جواد: دليل، ص٨٩.

(٩٦) ابن الجوزي: المنتظم: ٨ /٢٤٤.

(٩٧) ابن طباطبا، محمد بن علي بن الطقطقي: الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، (مصر،١٩٦٢ م) ص ٢٥٨.

(٩٨) ابن الجوزي:المنتظم، ٨/٢٤٤ .

(٩٩) جواد: دليل، ص١٨٧.

(١٠٠) ناجي معروف: المدرسة الشرابية، (بغداد،١٩٦١) ص٦.

(١٠١) الاربلي، عبد الرحمن سنبط: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، صححه مكي السيد جاسم، (بغداد، ١٩٦٤) ص٢٨١.

(١٠٢) القفطي: تاريخ الحكماء، ص١٢٩.

(١٠٣) جواد: دليل خارطة، ص١٨٧

(١٠٤) الاربلي: خلاصة الذهب، ص٢٨١-٢٨٢.

(١٠٥) الصفدي: الوافي بالوفيات،١٧٨/٨.

(١٠٦) ابن الجوزي: صيد الخاطر،تحقيق ناجي الطنطاوي، (دمشق،١٩٦٠)،ص٣٠.

(١٠٧) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد،١/٤٠٤_٤٠٥.

(١٠٨) ابن الجوزي: المنتظم،١٠/٢٠٩.

(١٠٩) رؤوف: مدارس بغداد،ص١٦٦.

(١١٠) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الاداب،ص١٨٢.

(١١١) الاربلي:خلاصة الذهب،ص٢٨٦.

(١١٢) ابن الكازروني:مختصر التاريخ،ص٥٨٧.

The outstanding Scientific Center in Baghdad during the Abbasied Era.

- This research is mainly considered an attempt for knowing the scientific centres in Baghdad during the Abbasiyin Region.
- This historic period is characterized by the early standing up of the Abbasiyin after many years of the foreign dvminance during which the state and the people have managed to en courage the scientific movement in Baghdad.